برنامج [قـرآنـهـم] - الحلقة (5) سورة الأعراف ج (2)

الاحد : 8 شهر رمضان 1438هـ الموافق : 2017/5/4م

✤ بدأ الحديث في الحلقة الماضية في أجواء سُورة الأعراف.. الأعراف: اسْمٌ مِن أسماء مُحمّدٍ وآل مُحمّد القرآنية،
والبسملة بوابةٌ ندخلُ من خلالها إلى السورة، ولِذا فكُلّ سُورة بوّابتُها البسملة، وبسملة سُورة البقرة غيرُ بسملة سُورة آل عمران وهكذا..

البسملة عنوانٌ للإسم الأعظم، وفي كلّ سورة مِن سور القرآن - لكونها - أي السُورة -كينونٌ خاصّة ومُسوّرة مُحدّدة - ففي كلّ سُورة هُناك تجليّات لِمجموعة مِن الأسماء الحُسنى، بعضُ هذه الأسماء ذُكرتْ بنحوٍ لفظي في السُورة وفي آياتها، وبعضُ تلك الأسماء تمّ الحديثُ عن شؤوناتها مِن دون أن تُذكر لفظاً.. ولكن كلّ سورة مِن سُور القُرآن فيها تَجلّياتٌ لِمجموعة مِن الأسماء الحُسنى، منها ما يأتي بنحوٍ لفظي، ومنها ما يأتي بالضِمْن في المَعاني والمفاهيم التي تتحدّث عنها تلكم السُورة.

والبسملة في أوّل السُورة يرتبط معناها بتلكم الأسماء. (فما جاء - على سبيل المِثال - مِن الأسماء في سُورة القَصص باللّفظِ أو بالآثار والمضمون، هو غيرُ ما جاء من الأسماء الحُسنى في سُورة الزُخرف مثلاً.. من جهة عدد الأسماء، ومِن جهة ألفاظها، ومن جهة آثارها.. فآثار الأسماء الحُسنى هي الأخرى مُختلفة بحسب المقام)

● مثلاً: الإسم الواحد (الرحمن) هذا الإسم آثارهُ ليستْ كلّها بدرجةٍ واحدة، ظُهوراتُ هذا الإسم ليستْ بتمامها في نفس الأُفق وفي نفس المُستوى.

فكلّ سُورة مِن سُوَر القُرآن جاءتْ فيها الأسماء الحُسنى بِحسبها (لفظاً ومضموناً ومعنىً)

فالبسملة - التي هي بوابة مِن خلالها ندخلُ للسُورة - تكونُ مُرتبطة بمعانيها ومَضامينها بتلكم الأسماء وبتلكم المضامين.. ومِن هنا كانت كُلّ بسملة في كلّ سُورة تختلفُ عن البسملة الأخرى. فالأصلُ أنّ الإسم الأعظم جامعٌ لكلّ الأسماء الحُسنى، والأسماء الحُسنى مُتفرّعةٌ مِن الإسم الأعظم، والبسملةٌ شِعارٌ ورمزٌ وتذكيرٌ به.. ففي كلّ سورة هناك تجليّاتٌ للأسماء الحُسنى مَردُّها إلى البسملة التي هي أقربُ للإسم الأعظم مِن سواد العين إلى بياضها.. (مِن هنا كانت للبسملة خُصوصيّة في كلّ سورة من سُور القرآن).

■ (ألمص) عنوانٌ للخزانة الإلهية التي أُحصي فيها كُلّ شيء.. ومَرّتْ علينا الرواية أنّ عِلْم كُلّ شيء في (عسق) وإلى ذلك تُشير سُورة يس حين تقول: {وكُلّ شيء أحصيناه في إمام مُبين}

■ (وقفة عند معنى مُفردة "كتاب" في اللّغة)

■ (ألمص) خُزانة ترمز بنحوٍ وبنحوٍ آخر إلى قلب المعصوم.. فهذا هو الكتاب الحقيقي الذي تَنزّل بِصورةٍ لفظيّة (إنّا جعلناهُ قُرآناً عربياً..)

هذا القرآن العَربي هو الذي تَحدّثتْ عنه سُورة الزُخرف، فقالت: {إنّا جعلناه قُرآناً عربياً لعلّكم تعقلون} {وإنّه في أمّ الكتاب لدينا لعليٌّ حكيم}

تلك هي الحقيقة السرّ والتي يُرمزُ إليها بهذهِ الحروف السريّة.

■ قولهِ تعالى: {اتّبعوا ما أُنزل إليكم مِن ربّكم ولا تتّبعوا مِن دُونه أولياء قليلاً ما تذكرون} حَجَرُ الزاوية في الوجود القرآني الولاية.

✤ قولهِ تعالى: {وكم مِن قريةٍ أهلكناها فجَاءها بأْسنا بياتاً أو هُم قائلون} مثالٌ لِمجموعة من البشر ابتعدتْ عن الولاية.. فإنّ حقيقة كُلّ شيء هي الولاية كما تُشير إلى ذلك الآية 144 من سورة الكهف: {هُنالكَ الولايةُ للهِ الحقّ هو خيرٌ ثواباً وخيرٌ عقبا} يعني ما وراء كلّ شيء حقيقة الولاية الظاهرة المُتجليّة في جواهر هذا الوجود.

وقول الآية {هو خيرٌ ثواباً وخيرٌ عُقْبا} الثواب هو أثرٌ مِن آثار النهاية، ولازمٌ مِن لوازم المُنتهى.. والعاقبة عنوانُ النهاية الصارخ الواضح.

■ قولهِ تعالى: {اتّبعوا ما أُنزلَ إليكم مِن ربّكم ولا تتّبعوا مِن دُونه أولياء قليلاً ما تذكرون} أي لا تَحرفوا مسار الولاية الحقّ إلى مسار آخر.

الاتّباع حتّى يتحقّق يحتاجُ إلى نيّة في القلب، والاتّباعُ يَحتاجُ إلى فَهْمٍ في العقل، مِن أنّني أسيرُ في هذا الطريق وأتّبعُ هذا الذي أتّبعهُ للحكمة الفلانية، والقضيّة مردّها إلى العقل. فهناك نيّة وهناك عقلٌ وفكرٌ، وهناك قولٌ وهناك حركةٌ عمليّة، ذاك هو الاتّباع.

● لن أستطيع أن أتّبع أهل الحقّ وأهل الباطل ما لم أُشخّص طريقهم.. فلابُدّ أن أسير على خارطة.. هذه الخارطة إمّا أن آتي بها مِن أهل الحقّ كي يُرشدوني إلى مَقرّهم، وإمّا مِن أهل الباطِل كي يُرشدوني إلى مَقرّهم.. والإمام الباقر "عليه السلام" يقول في قولهِ تعالى: {فلينظر الإنسانُ إلى طعامه} قال: عن علمهِ عمّن يأخذه.

● قولهِ تعالى: {وكم مِن قريةٍ أهلكناها فجَاءها بأْسنا بياتاً أو هُم قائلون} قطعاً الحديث عن القرية يعني المُراد أهل القرية.

البيات : إشارة إلى الليل، وقائلون هو الذي ينام القيلولة والتي تكون عند مُنتصف النهار.

● قول الآية {فجَاءها بأْسنا بياتاً أو هُم قائلون} أي جاءهم العذاب بنحوٍ مُفاجىء لهم، مثلما تحدّث القرآن عن يوم القيامة وعن يوم الظهور الشريف أنّه سيأتي مُباغتاً لأرض.. فتعبير (الساعة) في القرآن الكريم تارةً يأتي بمعنى (القيامة) و تارةً يعني (يوم الظهور الشريف لإمام زماننا).

الآية تتحدّث عن قرية نائمة تَغطُّ في نَومها العَميق سواء كانَ المقصود هذا المعنى الحِسّي للنوم (في البياتِ أو في القائلة).. أو تعني أنّهم سادرونَ في غيّهم، وضائعون في غفلتهم وإذا بالبأس قد صكّهم.. تلك هي المُفاجئة.

هؤلاء الذين ينحرفُ بهم المسار من ولاية الله (التي هي ولاية محمّد وآل محمّد) إلى ولاية أيّ شيءٍ آخر.. هؤلاء هم نائمون، ولذا حِين يحلّ العذاب عليهم يحلّ عليهم في نومهم وبشكلٍ مُفاجىء!

● قد يقول قائل هُنا: أنّ الآية تتحدّث عن أُممٍ سابقة، فما علاقة تلك الأمم بِمحمّدٍ وآل محمّد؟ وأقول:

ما من أُمّة من الأُمم السالفة بُعِث إليها نبيٌّ من الأنبياء إلّا كانت مُكلّفةً بولاية مُحمّد وآل مُحمّد، ولكن كُلّ أُمّة بِحسبها - كما جاء في الروايات عن أهل بيت العصمة عن دلالة هذا الرمز (حم) أنّه هو اسمُ نبيّنا الأعظم عند قوم هود. الروايات حدّثتنا عن أمّةٍ واحدة كُلّفتْ بكلّ التفاصيل هي أمّة بني إسرائيل، ومن هنا جاء التركيز الكثير المفصّل في القرآن حول بني إسرائيل لأنّ هذه الأمّة كُلّفتْ بنحوٍ مُفصّل.

● قولهِ تعالى: {فما كان دَعواهم إذْ جاءَهم بأسُنا إلّا أن قالوا إنّا كُنّا ظالمين} حين جاء البأسُ، حين جاء العذاب والهلاك مُباغتاً هنا نطق الوجدان وهنا تكلّمتْ الخلجاتُ النفسيّة بِصدق.. فالإنسان في لحظة قد تُسمّى بلحظة الصدق (وهي اللّحظة التي يُواجه فيها الإنسان حقيقة الواقع بحيث لا يستطيع أن يعبث أو يُكذّب على نفسه فيها) فيقرّ بالحقيقة. الكلام هنا عن قُرىً أهلكها الله لأنّ هذهِ القُرى لا أنصتتْ للإنذار، ولا رتّبتْ أثراً على ذلك الإنذار، وراحتْ في طَريق أبعدها عن الولاية (العروة الوثقى التي تربطها بالله تعالى) هذه الولاية في الأمم السابقة تتجلّى في أنبيائها وفي تَفاصيل العَقيدة ومَفاهيمها.. هُناك رَبْطٌ وارتباطٌ بالنبيّ الخاتم وبوصيّه وبالذين يأتون مِن بعده.

علماً أنّ هذا الكلام ينطبق علينا.. فإذا كان الإهلاك الفِيزيائي الحسّي قد ارتفع عن البشريّة بمجيء محمّد "صلّى الله عليه وآله".. فالإهلاكُ المعنويّ موجود، الأمّة ارتدّت بعد رسول الله، والحديث عن ارتداد الأمّة موجود في كُتب المُخالفين وفي كُتب الشيعة (راجعوا الأحاديث في صحيح البُخاري وصحيح مُسلم في أخبار الحوض). هذا هو الاهلاك المعنوي!

● {فما كان دَعواهم إذْ جاءَهم بأسُنا إلّا أن قالوا إنّا كُنّا ظالمين} قول الآية {إنّا كُنّا ظالمين} تعني أنّهم ظلموا أولياءه تعالى.. فإنّ الله تعالى لا يُظلم، وظُلم أوليائهِ هو ظُلمٌ له تعالى.. وهذا المعنى تحدّثتْ عنه روايات المعصومين عليهم السلام.. فالكلمات التي تحدّثت عن ظُلم الناس لله تعني وقوع الظُلم لأوليائهِ تعالى، لأنّ الله تعالى لا يَصِلُ إليه الظُلم.. ولكنّ ظُلم أوليائهِ يعدّه ظُلماً له تعالى كما نقرأ في زيارة سيّد الشهداء "عليه السلام": (السلامُ عليكَ يا ثار الله وابن ثارهِ، السلامُ عليكَ يا قَتيل الله وابن قتيله..) الثأر: هو الدم، ولكنّه هُنا يُنسب لله تعالى.

هذه لقطةٌ من الدُنيا.. قريةٌ تغطّ في نوم غفلتها وجهلها، وحين أُنذروا لم يُرتّبوا أثراً على الإنذار، وحين أرادوا أن يتّبعوا اتّبعوا غير طريق ولاية الله..

مضمون هذا الإنذار هو في الآية التالية: {اتّبعوا ما أُنزل إليكم مِن ربّكم ولا تتّبعوا مِن دُونه أولياء قليلاً ما تذكرون} لاحظوا الآية في خاتمتها تقول: {قليلاً ما تذكرون} يعني ستغطّون في غفلتكم ونومتكم، وسيأتيكم ما يأتيكم بَغتةً وأنتم لا تشعرون.

■ قوله تعالى: {فلنسألنَّ الذين أُرسِل إليهم ولنسألنَّ المُرسلين}

من هنا تنتقل سورة الأعراف إلى ساحة يوم القيامة، والسؤال هُنا عن الولاية.. الأحاديث تقول السؤال عن الدين، والدين هو الولاية. المُساءلة والمُحاسبة موقف مِن مواقف القيامة.. والسؤال هُنا عن الدين، يُسأل الإنسان يوم القيامة عن (ولاية عليّ).

فهناك مُساءلة، وهناك مُحاسبة.. كما نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة: (إيابُ الخَلْقِ إليكم وحِسابهم عليكم) وقطعاً هذه العبارة في الزيارة الجامعة الكبيرة لا تقتصر فقط على يوم القيامة.. هذه المُحاسبة جارية للخلائق جميعاً على طُول الخطّ في كلّ لحظة.. يوم القيامة هو شأنٌ مِن شؤون المُحاسبة له خُصوصيّة.. والمُحاسبة هي جُزء مِن المُساءلة.

■ هناك مُساءلة يخضع لها الجميع ابتداءً من الأنبياء.. والذين يُسائِلون العِباد هم مُحمّدٌ وآل محمّد "صلوات الله عليهم".. فهم سادةُ الموقف وهم الحاكمون وعليٌ هو قسيم الجنّة والنار، وهو الذي يُدخل أهل الجنان في جنانهم ويقول لهم "خلودٌ خلود"، وهو الذي يُدخل أهل النار في النار ويقول لهم أيضاً "خلودٌ خلود".

فحين أقول أنّ الجميع سيُسألون، يعني حتّى الأنبياء والأوصياء داخلون طُرّاً في المُساءلة.. أمّا أهل البيت "صلواتُ الله عليهم" فهم الحاكمون والمُشرفون في ساحة القيامة، والملائكة هي التي تسأل الخلائق بأمرهم، وأهل البيت يُشرفون على الموقف.. والروايات تقول: أنّهم "صلوات الله عليهم" يتدخّلون في بعض المواقف لأهمّيتها. الجميع سيُسأل.. القُرى التي أُهلكت والقُرى التي لم تُهلك.. الجميع يُسأل {وقِفوهم إنّهم مسؤولون}

■ الروايات تُحدّثنا أنّ شيخ الأنبياء نوحٌ "عليه السلام" يُوقف للسؤال وتُطلَب مِنه الشهادة، فيلجأ لِمحمّدٍ "صلّى الله عليه وآله" ويأمر رسول الله حمزة وجعفر أن يشهدا له وللأنبياء. فإذا كان شيخ المُرسلين يتعرّضُ للمُساءَلة، وتُطلبُ منه الشهادة، فما بالك ببقيّة الناس؟!

وهذا السؤال الذي سيُسأل عنه الجميع هو عن (ولاية عليّ).. فالأُمم السالفة - كما ذكرت - جميعُها مُكلّفة بولاية عليّ، ولكن كُلٌّ بِحسَبها.. (إنّما يُداقُّ الله العباد على قدر عقولهم) وهذا القانون المعصومي يتناول العقل الفردي، والعقل المُجتمعي.

■ السبب في مُساءلتنا عن عليّ هو أنّهم يُريدون أن يَمنحونا (صكّ البراءة).. فإنّ آخر مَرحلة مِن مراحل القيامة هي الصراط، ولن يجوز أحدٌ على هذا الصراط مِن دون صكّ يشهدُ لنا بالولاء لعليّ وهو (صكُّ البراءة).. مضمون صكّ البراءة هو (أنّنا لا نَحملُ في قلوبنا وفي عقولنا ما يَحول بيننا وبين عليّ). علماً أنّ هذا الصكّ على درجات وليس على درجةٍ واحدة.

فهذه الروايات تُحدّثنا عن الذين يَملكون هذا الصكّ أنّ البعض منهم يمرّ كالبرق الخاطف على الصراط، والبعض الآخر يمرّ بسرعة يكون فيها أسرع مِن طرفة عين..والبعضُ كسرعة الفرس، والبعضُ يركض كما يركض الإنسان، والبعض يمشي، والبعض، يزحف...(هؤلاء الذين يملكون صُكوك البراءة).

أمّا الذين لا يملكون صكوك البراءة ويسقطون في الامتحان عند المُساءلة هؤلاء يُقال له اعبروا على الصراط، ولكنهم يتساقطون يميناً وشمالاً على هذا الصراط لأنّه سيضيقُ ويضيقُ بهم وتشتدُّ ظُلمته، حتّى يكون كحدّ السيف، أو أدقّ من الشعرة.. لأنّهم فشلوا في الامتحان.

● قطعاً المُرسلون سيُسألون عن أُمَمهم، لن يُسألوا عن أنفُسهم، فهم أعلى شأناً مِن أن يُسألوا عن أنفُسهم.. وإن سُئلوا عن أنفُسهم سيُسألون عن أمورٍ مُعيّنة.. سنُسأل جميعاً عن (ولاية علي) وبعبارة مُختصرة: سنُسأل جميعاً عن ولايةِ إمام زماننا، إذ لا معنى لولاية عليّ مِن دون ولاية إمام زماننا.

■ ويُسألُ الناسُ يوم القيامة أيضاً عن أشياء حدّثتنا عنها كلماتُ النبيّ الأعظم وآله الأطهار، منها:

أنّنا سنُسأل عن أعمارنا فيما أفنيناها..؟! فيا لِسعادةِ هذا الذي أفنى عُمره في فناء عليّ وآل عليّ.. (الدنُيا سُوق.. يربحُ فيها قومٌ ويَخسرُ فيها قومٌ، وهذا العُمر رأسُ المالِ...) سنُسأل عن أعمارنا، وسنُسألُ عن أجسادنا فيما أبليناها..؟! وسنُسأل عن أموالنا مِن أين كسبناها وأين أنفقناها..؟!

نعم أولئكَ الذين سينالونَ صكّاً عَلَوياً مُميزاً لا يُسألون.. يُسألون فقط عن ولاية عليّ، وإذا ما مُنِحوا صكّاً عَلَوياً مُميزاً فإنّهم يدخلون الجنّة بغير حساب.. مثلما تُحدّثنا الروايات عن زُوّار الحسين، عن الباكين على الحُسين، فالروايات تُخبرنا أنّهم يجلسون مع الحُسين عند العرش يستأنسون بِحديثهِ والناسُ في الحساب.. فهنيئاً للحُسينيّين الذين يَختارهم الحُسين، والذين يُعطون صكّاً علوياً مُميزاً.. يُسألونَ عن عليّ فقط، وبعد ذلك يتجاوزون المُساءلةَ والمُحاسبة.

● المُحاسبة موقفٌ شديدٌ في يوم القيامة.. تحدّث القرآن والروايات والأدعية والزيارات كثيراً عنها.

● قوله تعالى: {فلنَقُصَنَّ عليهم بعِلْم وما كُنّا غائبين} أي حينما نسألهم إنّنا لا نسألُهم سؤالاً إجمالياً، وإنّما تُطرح التفاصيل بالكامل! ستُطرح القصّة كاملة.

وقول الآية {وما كُنّا غائبين} أي نَحنُ حاضرون. في أحاديث أهل البيت "عليهم السلام" هذهِ الصِيَغ أي صِيَغ التعبير بِضمائر الجمع في القرآن هو حديثٌ عنهم "صلواتُ الله عليهم"، وهذا الأمر مذكور في أحاديثهم التي بيّنتْ قواعد التفسير التي يَرفضها مراجعنا وفُقهاؤنا لأنّهم أُشبِعوا بالفِكْر الناصبي مِن دون أن يلتفتوا إلى هذا الخطأ الفادح الذي وقعوا فيه وأوقعوا الشيعة معهم.

● إمامُ زماننا ليس غائب.. هو غائبٌ عن الأبصار فقط، ولكنّه ليس بِغائبٍ عن الحقائق.. إمامنا غائبٌ شاهدٌ في نفس اللّحظة وفي ذات المقام. {وكُلّ شيءٍ أحصيناهُ في إمامٍ مُبين}. وبرغم أنّ أهل البيت شاهدون على أعمالنا.. فهناك شهودٌ أيضاً تشهدُ علينا بما فعلنا يوم القيامة (ستشهدُ علينا أرجلنا، وتشهدُ علينا جوارحنا: أيدينا، ألسنتُنا...)

والشُهداء الذين يتحدّث عنهم القرآن ليس الشهداء الذين قُتِلوا في المعارك.. وإنّما يعني الشهداء الذين سيكونونَ شُهداء على الخَلْق.

■ وقفة عند سُورة الزلزلة وهي تُحدّثنا عن الذي سيجري..: {يومئذٍ يصدرُ الناس أشتاتاً ليُرَوا أعمالهم* فمَن يعمل مِثقال ذرّةٍ خيراً يَرَه* ومَن يعمل مِثقالَ ذرّةٍ شرّاً يره} الأعمال حاضرة..

■ الخلاصة هي في هذه الآية من سُورة الأعراف: {والوزنُ يومئذٍ الحق فمَن ثقُلتْ مَوازينهُ فأولئك هُم المفلحون*ومَن خفَّتْ مَوازينهُ فأولئكَ الذين خسِروا أنفُسَهم بما كانوا بآياتنا يَظلمون} الوزن يعني الحُكم النهائي، يعني النتيجة النهائية.

● قولهِ تعالى: {بما كانوا بآياتنا يَظلمون} الظُلم مُوجّهٌ إلى جهةٍ ظلموها.. ومُصطلح (الآيات) في القرآن على طُول الكتاب الكريم يعني محمّداً وآل محمّد "صلواتُ الله عليهم".. كما يقول سيّد الأوصياء "صلواتُ الله عليه": (ما للهِ آيةٌ أكبرُ منّي)

فقول الآية: {والوزنُ يومئذٍ الحق} يعني أنّ النتائج والعواقب تتبيّنُ هُنا.. فهُناك مِيزان وهو عليٌ صلواتُ الله عليه.. فعليٌ هو الحقّ. الحقُّ عنوانٌ دائمٌ لعليّ فقط.. مِثلما الدينُ عنوانٌ لعليّ، والإيمانُ عنوانٌ لِعليّ، والقُرآن عنوانٌ لِعليّ، والصِراطُ المُستقيم عنوانٌ لعليّ، والولايةُ عنوانٌ لعليّ والميزانُ عنوانٌ لعليّ أيضاً.. ويُؤكّد هذا المعنى ما نقرؤه في أوائل زيارات سيّد الأوصياء "صلوات الله عليه" المُطلقة: (السلامُ على مِيزان الأعمال ومُغيّر الأحوال) فهل نَحنُ نكذبُ على سيّد الأوصياء حِين نُخاطبه بهذه العبارات؟!

فسيّد الأوصياء هو الميزان، له الولاية المُطلقة.. فحتّى لو وَزَنَ مَن وَزَن فكان الوزنُ سيّئاً وكانت النتيجة سيّئة، فإنّه يستطيع أن يُقلّب حاله مِن سيء إلى حسن، فمردّ الأمور إليه. (إيابُ الخلقِ إليكم، وحسابهم عليكم).

أمّا كيف يُقلّب أمير المؤمنين الأحوال؟ فنجدُ جواباً لهذا السؤال في زيارة إمام زماننا "صلواتُ الله عليه" حِين تقول الزيارة: (أشهدُ أنَّ بولايتكَ تُقبَلُ الأعمالُ، وتُزكَّى الأفعالُ، وتُضاعَفُ الحسَناتُ، وتُمْحَى السيّئاتُ..) هذا كلّه تقليب للأحوال، فيغيبُ الحال السيء ويَحلّ محلّه الحال الحَسَن.

■ هذه الزيارات هي تفاصيل للقرآن. (وقفة عند ما يقولُه القرآن في سُورة الرحمن)

في الآية 7 من سُورة الرحمن يقول تعالى: {والسماء رَفعها ووضعَ المِيزان* ألّا تطغوا في الميزان* وأقيموا الوزن بالقِسط ولا تُخْسِروا المِيزان} السماء رسولُ الله هو السماءُ الظَليلة، والميزان عليٌّ

● وقفة عند ما يقولهُ آل محمّد "صلواتُ الله عليهم" في معنى هذهِ الآيات.

الرواية عن إمامنا الرضا في [تفسير القمّي] جاء فيها: (قلتُ: {والسماء رَفعها ووضعَ المِيزان}؟ قال: السماء رسول الله، رفعه الله إليه، والميزان أمير المؤمنين نَصَبَهُ لِخَلْقِه - الحديثُ هنا عن بيعة الغدير- قُلتْ: {ألا تطغوا في الميزان}؟ قال: لا تَعصُوا الإمام، قُلت: {وأقيموا الوَزن بالقِسْط}؟ قال: أقيموا الإمام بالعَدل. قلتُ: {ولا تُخْسِروا المِيزان}؟ قال: لا تبْخَسوا الإمام حَقّه ولا تَظلموه..)

■ قولهِ تعالى: {فمَن ثقُلتْ مَوازينهُ فأولئك هُم المُفلحون} المُفلحون هُنا هم المُفلحون الذين قال عنهم القرآن: {قد أفلح المُؤمنون* الذين هُم في صلاتهم خاشعون}. هذه الصلاة تعني الولاية.. يعني في ولايتهم لعليّ هم خاشعون. فالروايات تُحدّثنا أنّه حِين وِلدَ أمير المؤمنين وجيء بهِ إلى رسول الله، كان سيّد الأوصياء يُردّد هذهِ الآيات مِن سُورة المؤمنون، فقال له رسول الله: قد أفلح المؤمنون بولايتك يا علي.

● هذهِ المعاني لا يستشعرها الذي قد شُحِن عَقلُه وقلبه بالثقافة الناصبية وإنْ كان مِن كبار مراجع الطائفة وعُلمائها.. هذهِ المعاني بِحاجة إلى ذائقة خاصّة.. هذه المعاني تتجلّى في هذا الوصف الذي أشار له الإمام الهادي "عليه السلام": (فاصمدا في دينكما على مَتينٍ في حُبّنا وكُلّ كثير القدم في أمرنا..) ■ إنّما تثقل الموازين بولاء عليّ، والذي تثقُل موازينهُ هو المُفلح.. والمُفلحون هم الذين لَن يطول مَوقفهم في يَوم القيامة.. فإنّ طول الموقف يوم القيامة هو لونٌ مِن ألوان العذاب! ولِهذا كان سيّد الشُهداء مِراراً وكِراراً يوم عاشوراء كان يدعو لِشيعته في يوم القيامة، فطول الموقف عذابٌ شديد. في بعض الروايات عن صادق العِترة أنّ هُناك مِن المؤمنين مَن يدخل الجنّة بِغير حِساب.. وهُناك بعضُ المؤمنين مِن أهل الجِنان ومِن أصحاب الحسنات ولكنّهم يُحاسبون إلى حدّ أنّهم يتعرّقون عَرَقاً ما يَروي أربعين بعيراً..! فكم طول هذا الموقف؟

■ قوله تعالى: {فمَن ثقُلتْ مَوازينهُ فأولئك هُم المفلحون*ومَن خفَّتْ مَوازينهُ فأولئكَ الذين خسِروا أنفُسَهم بما كانوا بآياتنا يَظلمون} الروايات تُحدّثنا عن أنّ أثقل شيء يُوضع في الميزان هو الصلاةُ على محمّدٍ وآله (اللّهُمّ صلّ على مُحمّدٍ وآل مُحمّد) الحديثُ هُنا ليس عن الألفاظ.. الألفاظ هي بوابة كما أنّ البسملة بوّابة في كلّ سورة إلى مضامين هذه السورة.

(اللّهُمّ صلّ على مُحمّدٍ وآل محمّد) هي الإسم الأعظم بِعينها في وجهها اللّفظي.. هي عنوانٌ لِولاية مُحمّدٍ وآل محمّد.

● تكون الموازين والأعمال ثقيلة ليستْ بالألفاظ.. وإنّما بمضمون القلوب ومضمون العقول.. تثقلُ الموازين بولاء عليّ.

■ قوله تعالى: {ولقد مكّناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون} أي وفّرنا لكم كُلّ شيءٍ حتّى تسيروا في هذا الطريق، طريق ولاية الله.

معايش: جمعٌ لِمعيشة وهي أسبابُ العَيش. (منظومة تشتمل على مكان العيش، وسائل العيش، وغيرها..)

■ قوله تعالى: {ولقد خلقناكم ثُمّ صوَّرناكم ثُمَّ قُلنا للملائكة اسجدوا لآدمَ فسجدوا إلّا إبليس لم يكنْ من الساجدين* قال ما منعكَ ألا تسجد إذْ أمرتكَ قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخَلَقْتَهُ مِن طين} وصلنا إلى قصّة أبينا آدم..

● قول إبليس {أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخَلَقْتَهُ مِن طين} إبليس قد ضاع في وهمهِ هنا.. إبليس لم يكن عميقاً هنا، كان مُتمسّكاً بِظاهر الأمر.. (وإنّ قَوماً آمنوا بِالظاهر ما كانوا على شيء، وإنّ قَوماً آمنوا بالباطن فقط أيضاً ما كانوا على شيء، إنّما هو إيمانٌ بظاهر وباطن).

ساحة الثقافة الشيعية الأعمّ الأغلب فيها هو إيمانٌ بالظاهر، وفي بعض الزوايا فيها إيمانٌ بالباطن فقط.. والمطلوب هو الإيمان بالظاهر والباطن معاً. إبليس هنا أعلن إيمانه بِظاهر الأمر حين قام بهذه المقارنة فقال: (أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخَلَقْتَهُ مِن طين) . آدم خُلق مُباشرة من الطين.. أمّا إبليس فخُلِق من الطين بالوسائط، حيثُ خُلِق مِن النار وهي وسيط.

(وقفة عند بعض الآيات التي تُبيّن أصل النار وأنّها مِن الشجر، والشجر من الأرض)

● حتّى لو أخذنا الأمر على ظاهره .. فإنّ إبليس أخطأ في التقييم والقِياس، (وهذا مذكور في الروايات).

أحاديث أهل البيت تقول أنّ إبليس قاس قياساً باطلاً فقد استعمل الظاهر من دون الباطن، ولِذا رفض السجود لِمحمّد وآل محمّد.. ومن هنا أهل الظاهر حتّى في الوسط الشيعي يَرفضون المقامات الغَيبيّة ويُشكّكون في أحاديث أهل البيت .. الموقف الإبليسي هو هو بِعينه.. (القرآن يجري مَجرى الشمس والقمر)!